حقوق العمال واصحاب المال

توزيع الثروة

نبذٌ اقتصادية وهي تتمة البحث في التساوي والتفاضل

لجناب نقولا افندي الحداد

وعدتُ قراء الجامعة الكرام بتتمة البحث في « التساوي والتفاضل » من الوجهة الاقتصادية . وقد ارجأت وفاء الوعد الى ان انتقلت من عالم المدنية القديم الى العالم الجديد لكي اطلع على اهم ما كتبه علماء الاقتصاد المحدثون بهذا الموضوع لان مدينة مثل نيويورك غنية بكل شيء لا بد ان يعثر المطلع فيها على كل ما يتمناه من المؤلفات . ولهذا قصدت الى بعض مكاتبها العمومية — وهي من فضل سيادة المبدإ الديموقراطي هنا عديدة وطافحة من الكتب في كل فن ومطلب والناس يتوافدون اليها مستعيرين من كتبها مجاناً ورادّين — قصدت الى بعض تلك المكاتب واطلعت على ما كتبه ووكر وآبوت وآدم سمث وهنري جورج وغيرهم ثم رجعت الى نفسي وعانيت الخوض في لجة هذا الموضوع العميقة

تساؤل الجمهور

الناس كلهم ولا سيما عامتهم متفقون على تساؤل واحد وقد تحيروا في امر الجواب عليه وهو ان غنياً مثل ركفلر او كارنجي مثلاً يجمع في حياته ثروة لو توزعت على مئة الف نسمة او على عائلات مدينة واحدة مثل مصر مثلاً لكان كل رب عائلة صاحب ثروة ولعدّه الناس غنياً — في حين ان مئات الالوف من البشر يتعبون ويشقون ولا يكادون يحصلون على بلغة تسد الرمق . فهل بذل ركفلر من القوى العقلية والبدنية مليون ضعف ما بذله العامل ؟ وان لم يبذل في حياته من القوى اكثر مما بذله عشرة عمال او مئة او الف عامل فما السر في انه جمع من الثروة ما لم يجمعه مليون من العمال . وهب ان الفرق بينه وبين العمال الذين يشقون لكي يحفظوا بقاءهم في حدة الذكاء فما هذا الذكاء الذي يجعل قيمته مليون ضعف من قيمة العامل . وهل هو حقيق انه لا يوجد بين الانام الذين لم يثروا افراد يساوون ركفلر في ذكائه . وان كان يوجد مثله اذكياء كثيرون فلماذا لم يثروا اثراءه مع ان كل الانام ساعون وراء المال ؟ وسواء كانت اسباب هذا التفاوت او التفاضل في الثروة بين

ركفلر وسائر العمال اقتصادية او اجتماعية او شرعية فهل هي حق ؟ — هذه الاسئلة وامثالها يتساءلها عامة الناس وهم حيارى لا يدرون اسرارها . وربما اثارت الحيرة غضب بعضهم فنقم على الاغنياء يريد ان ينتزع منهم هذه الثروة ويوزعها على افراد البشر لان الاغنياء جمعوها من تعب العمال الفقراء

ولا بدع ان يحكم المتأمل ان هذا التفاوت المالي غير عادل لان ركفلر او غيره من الاغنياء لم يستطع ان يجمع تلك الثروة الطائلة لو لم يشتغل بها العمال بل انه لولا عمل العمال لما استطاع هو او غيره من اهل المال ان ياكلوا رغيفاً من العيش . وبالاجمال يقال ان ثروة البلاد عموماً هي نتيجة فكر ازكيائها وعمل عمالها ولذلك يحكم الضمير بالبداهة بوجوب توزيعها على الانام بالنسبة الى القوى التي بذلوها في تحصيلها

﴿ نناظر ثلاثة ﴾

— الاقتصادي والحقوقي والاجتماعي —

ولا يخفى على القارىء اللبيب ان موضوعاً كهذا ينظر فيه من ثلاثة اوجه على الأقل

﴿ الوجه الاول ﴾ — ما السبب الذي اوجب هذا التفاوت المالي حتى يستفحل زيد في غناه فيجمع الملايين و يعيش متنعماً في حين ان عمراً يكد ويكدح اكثر منه ومع ذلك يكاد يقنع بالبقاء حياً ولو في شقاء . فان كان سبب ذلك ان « المال يجرّ المال » اكثر مما يجرّه العمال فمن اين للمال هذه القوة العجيبة التي تفوق قوة العمال مع انه ليس الاّ معدناً اصم اخرس او ورقاً لا قيمة اصلية له . وهذا الوجه من خصائص الاقتصادي الذي ينظر الى الامور المالية كما ساقتها طبيعة العمران تحت ادارة القوانين المدنية والسياسية وتحت فاعلية ناموس التنازع وعليه لا ينسب للقوة الاقتصادية العاملة في السياسة المالية شيئاً من العواطف والاحساسات اي انه لا يسلم ان للناس عاطفة الرفق والتسامح في التعامل بل يفرض ان ما يسمونه تعاوناً لا يقصد به ان يساعد الانام بعضهم بعضاً بل ان يتبادلوا النفع وكل منهم يجتذب من المنفعة الى نفسه ما استطاع . فاذا قلت له ان عمال السكة الحديدية يتعبون و يشقون فلماذا ينقاسم المساهمون في شركتها القسم الاعظم من دخلها مع انهم لم يشتغلوا شيئاً فيها قط و ربما لم يطأها بعضهم البتة ولا عرف شيئاً من ادارتها . قال

لك ان المساهمين متمولون فاذا لم يدفعوا المال لا تنشأ السكة الحديدية واذا لم يكن لاموالهم ربح يرضيهم فلا يدفعونه لانشائها مجازفين به ولماذا يدفعون المال مجاناً لمشروع ما؟ انهم يستوفون ربحاً جزاء حرمانهم انفسهم التمتع بذلك المال اذا لم يدفعوا المال لا تشاء السكة الحديدية فلا تعمر البلاد ولا يزداد الريع وتنوفر الثروة . واذا قلت له سلمتُ ان ثروة البلاد لا تزيد وريع الارض لا يتوفر اذا لم تنشأ السكة الحديدية بمال الاغنياء ولكني ارى ان ما يزداد من الثروة يتسرب معظمه الى جيوب الاغنياء ولا يصيب العمال الفقراء الا الجزء اليسير منه فما الفائدة للجنس البشري من ازدياد الثروة على هذا النحو . قال لك ان الغاية الاقتصادية هي ان تزداد ثروة البلاد بأي الطرق او ان يستخرج البشر ما يستطيعون استخراجه من خيرات الطبيعة ولا فرق في ان يستولي على تلك الخيرات الاغنياء وحدهم او الفقراء معهم . واذا شئت ان تطالب باقتسام الثروة بانصاف فطالب قوانين الحكومة واستعن على ذلك بمبادئ الاجتماعي لانها هي التي توحي للمشترع المنصف نص القانون والشريعة

﴿ الوجه الثاني ﴾ — هل ان الطرق التي يتعامل بها البشر منطبقة على القوانين المدنية والنظامات المحلية والسياسات الدولية او انها مخالفة لها . وهذا الوجه من خصاص الحقوقي وهو يفرض ان القوانين عادلة فاذا تسنى لزيد ان يثري حتى تصبح ثروته مليون ضعف ثروة عمر ومن غير ان يخترق القانون او يدوس الشريعة فله ذلك بل اذا قدر ان يتمتع بتعب زيد وعرق جبينه من غير ان يخالف القوانين فله ذلك . فاذا قلت له ان صاحب المعمل اغتنم فرصة فاقة العمال وشدة حاجتهم فاستخدمهم بنصف الاجرة المعتادة قال لك انه حرّ في ان يعرض عليهم الاجرة التي يريدها وهم احرار في ان يشتغلوا او لا يشتغلوا . وان قلت له ان المرابي اغتنم فرصة فاقة الفلاح واقرضه برهن ولكن اتفق معه على ان يدفع له تسعين ويحسبها مئة وحسب عليه الفائظ القانوني ٩ فاصبحت الفائدة ١٩ قال لك ما دام الصك ينص على انه اقترض مئة بفائدة ٩ فقط فالقضاء يوجب عليه ان يدفع المئة وفائظها وان كان لم يقبض من الدائن سوى التسعين والاّ فلماذا رضي بهذه المراباة ووقّع على الصك

﴿ الوجه الثالث ﴾ — هل ان الطرق التي يتعامل بها البشر والطريقة التي بها يتقاسمون الريع الذي يشتركون كلهم في تحصيله حق ؟ وهذا الوجه من خصائص الاجتماعي الادبي وهو يفرض ان كل افراد الهيئة الاجتماعية افراد عائلة واحدة يشتغلون معاً باجتهاد

متفاوت وقوى متفاوتة لان اشتراكهم بالعمل يضاعف المكاسب ولهذا يجب عليهم ان يكونوا منصفين في الاقتسام بحيث يصيب كل واحد منهم جزاء تعبه . فاذا قلت لهان ركفلر لم يتعب في الهيئة الاجتماعية مليون ضعف تعب العامل فلماذا تكون ثروته مليون ضعف من ثروة هذا قال لك العيب في القوانين المدنية ونظامات الحكم فعلينا ان نصلح هذه النظامات لكي نردّ الذئب عن الغنم ـ علينا ان نعملها بشرط ان لا نعرقل سير العمران ولا نوقف مجرى التقدم المالي

فترى ان الاجتماعي افضل من الآخرين لانه يسند قوله الى حكم محكمة الضمير و يبتغي تعميم الخير للجنس البشري كله وتعادل الناس في الغناء بالنسبة الى اجتهادهم ومواهبهم . وفي هذه العجالة اجتهد ان اجمل الثلاثة حول الموضوع

﴿ مصادر الريع ومنقاسموه ﴾

افرض ان رجلاً نبيهاً نشيطاً خطر له ان يشتغل بزراعة القطن فذهب الى صاحب حقل فسيح واستأجره منه الى بضع سنين على شرط ان يفيه الاجرة عن كل عام في نهاية الموسم . ثم ذهب الى متموّل واستدان منه مبلغاً من المال لكي يشتري البذار والبهائم والعدد على شرط ان يوفيه في نهاية الموسم ثم استأجر الفلاحين والعمال لكي يشتغلوا في الارض تحت امرته على شرط ان يستوفوا اجرتهم في نهاية الموسم ايضاً

ولما نضج القطن وجمعه جاء صاحب الارض واخذ منه قسماً يساوي اجرة الارض عن ذلك العام . ثم جاء الدائن واخذ من القطن قسماً يساوي ماله وفائدته . ثم جاء العمال واخذوا من القطن ما يساوي اجرتهم والباقي كان جزاء صاحب المشروع او ربحه وان كان القطن لم يكف ذوي الحقوق من صاحب الارض والدائن والعمال نازعوه والزموه ان يوفي من ماله الخاص ان كان عنده مال

والغاية من هذا الافتراض الكثير الوقوع كل يوم على صور مختلفة في جميع دوائر العمل واصنافه هي ان يعلم القارىء ان الذين لهم ايد في تحصيل الريع وبالتالي لهم حقوق فيه هم اربعة اصناف :

١ ـ اصحاب الاراضي ولهم اجرة الارض وربما سميت « المرابعة » تساهلاً

٢ — اصحاب الاموال ولهم فائدة اموالهم
٣ — العمال ولهم اجرتهم اليومية او ماهياتهم الاسبوعية او الشهرية
٤ — اصحاب المشروعات ولهم ارباح المشروع

ولا يندر ان يجتمع صنفان او ثلاثة او اربعة في واحد فكثيرًا ما يكون صاحب المشروع هو صاحب المال كالتاجر الذي يتاجر بماله من غير ان يستدين او كالمزارع الذي يستأجر الارض وينفق على المزرعة فيها من ماله . وقد يكون صاحب الارض صاحب المشروع والمال ايضًا فيدير زراعة ارضه بنفسه من غير ان يؤجرها . او كالتاجر الذي يتاجر بماله وحانوته في ملكه . وقد يكون صاحب الارض صاحب المشروع وصاحب المال والعامل معًا كاسكاف القرية الذي يشتغل وحده في غرفة من منزله ويشتري الجلود والادوات من ماله

ولكن لا يغرب عن فطنة القارىء انه ولو اجتمع اصناف القائمين بالعمل في شخص واحد كالاسكاف الذي يمثل بنفسه صاحب الارض وصاحب المشروع وصاحب المال والعامل فان نصيب كل صنف يبقى متميزًا عن انصبة الباقين فذلك الاسكاف مثلاً اذا لم يكن منزله ملكه اضطرّ ان يستأجر دكانًا ويدفع من اصل كسبه اجرتها واذا لم يكن ذا مال ليشتري جلودًا وادواتٍ لصناعته اضطرّ ان يستدين من غيره لهذه الغاية ويدفع من اصل كسبه فائدة ذلك المال واذا لم يقرضه احد لعدم الثقة به ولم يكن حسن التدبير بحيث لا يستطيع ان يشتغل مستقلاً اضطرّ ان يشتغل عند غيره من صانعي الاحذية باجرة زهيدة وبالطبع لا يستخدمه احدٌ ما لم يطمع بربح جزاء حسن التدبير الذي اتاه في سبيل تشغيله عنده . فترى مما تقدّم ان الاسكاف الذي يشتغل في محل هو ملكه ويشتري بماله المواد اللازمة له يجمع من صنع الاحذية نصيب صاحب الارض ونصيب المرابي ونصيب صاحب المشروع الذي يحسن التدبير ونصيب العامل

ولا يخفى على الفطن المستبصر ان ما اقتضاه ارتقاء العمران من تنوع الاشغال وتوزعها على العمال بحيث صار الرغيف لا يصل الى يد الآكل ما لم يمرّ على يد الزارع والتاجر والطاحن والخابز والبائع — قضى في كثير من الاعمال ان يتشخص الاصناف الاربعة الآنفة الذكر ويتميزوا كل صنف في افراد اخصاء . بل قضى بان يتنوع كل صنف منهم تنوعات مختلفة

وفي النبذات التالية ابحث في كل صنف منها على حدة وابين ما يصيبه من لريع الذي يشترك فيه مع البقية

جبل الطور

« الذي تجلى عليه المسيح »

جبل الطور . طور طابور . جبل التجلي . هو جبل جميل مخروطي الشكل قائم في السهل كتمثال عظيم في ساحة فسيحة وارتفاعه الفان وثمانية عشر قدماً وهو مركب من طبقات صخرية كلسية تغطي اقساماً منها تربة حمراء في بعض الاماكن عميقة ويغطي بعضه شجر البلوط الذي تتفيأ اغصانه طيور السماء . ويستر البعض الآخر انواع من نبت الشيح الجميل . فالناظر اليه والى حرمون الكبير الشاهق القائم قبالته عند الافق لا يلبث ان يردد ما قاله داود النبي (طابور وحرمون باسمك يبتهجان) ولا يعجب من قوله تعالى بلسان ارميا ص ٤٦ عـ ١٨ (حي انا يقول الملك رب الجنود اسمه كطابور بين الجبال) والراقي اليه ينشرح صدره بمناظره الجميلة الشاسعة وتنتعش نفسه بروائح ازهاره الربيعية الزكية وتطرب مسامعه بانغام الطيور الشجية التي تمثل مظاهر الطبيعة فيخال له انه راقٍ من عالم الشقاء الى سماء السعادة الخيالية ويتمنى ما تمناه بطرس من الاقامة في ذلك الوسط الشعري السعيد ولو في مظال يقطع اخشابها بيديه ويظللها بما توفر لديه . فان تلك الحالة المدهشة انسته ما كان يلاقيه من آكرام الناس له وحفاوتهم به وانسته آماله ببلوغ مراتب السيادة والسعادة التي كان يرجوها من نفوذ سيده في الشعب . ولا غرو فقل من يرقى الى طور طابور ولا يسحره ما سحر بطرس من اجتماع غرائب الطبيعة في هذا الجبل

﴿ تاريخه ﴾ كانت على سطحه مدينة حصينة صعبة المرتقى تدعى طابور (اخبار الايام الاول ص ٦ عـ ٧٧) وقعت في قرعة زبولون . اتخذها باراق ودبورة معسكراً لهما فجمعا جيشهما ورتباه فيها في مامن من غدر العدو وهجماته وانحدرا منها الى السهل لمحاربة سيسرا رئيس جيش يابين ملك كنعان الذي لاقاهما من حروشة الامم الى طرف سهل يزرعيل الشمالي . وهناك التحم الجيشان واعتركا اعتراكاً شديدا فانهزم الكنعانيون من